Chronos- Revue d'Histoire de l'Université de Balamand, is a bi-annual Journal published in three languages (Arabic, English and French). It deals particularly with the History of the ethnic and religious groups of the Arab world.

Journal Name: Chronos

ISSN: 1608-7526

Title: An Overview of the Ancient Churches in Benghazi-Libya

Author(s): Saadi al-Darraji

To cite this document:

al-Darraji, S. (2019). An Overview of the Ancient Churches in Benghazi-Libya. *Chronos, 22*, 49-67. https://doi.org/10.31377/chr.v22i0.448

Permanent link to this document: DOI: https://doi.org/10.31377/chr.v22i0.448

Chronos uses the Creative Commons license CC BY-NC-SA that lets you remix, transform, and build upon the material for non-commercial purposes. However, any derivative work must be licensed under the same license as the original.

أرشيف يوسف الشارني

CHRONOS
Revue d'Histoire de l'Université de Balamand
Numéro 22, 2010, ISSN 1608 7526

أضواء على كنائس بنغازي العتيقة

سعدي إبراهيم الدراجي[1]

لا شكّ في أن وجود الكنائس في مدينة بنغازي، ليبيا، يعكس مدى التسامح الدينيّ النابع من ثقافة أهلها، وإيمانهم بالتعايش وقبول الآخر، واحتواء كلّ الطوائف على اختلاف عقائدها. لذلك، لا غرابة أن تضمّ المدينة معابد خاصّة بأهل الكتاب، سواءٌ كانوا مسيحيّين أو يهودًا، أقدمها الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة اليونانيّة، وكلتاهما مؤسّستان في العصر العثمانيّ. أما في عهد الاحتلال الإيطاليّ فيذكر الديريكو تيجاني الذي أرّخ لمدينة بنغازي، في العقد الثاني من القرن العشرين، عددًا آخر من الكنائس الصغيرة التي أقيمت في المدينة إبّان الاحتلال (١٩١١-١٩٤٢م) واحدة توجد داخل المستشفى العسكريّ الذي كان قائمًا في ألصابري، والثانية بالفويهات والثالثة بالمقبرة المسيحيّة في جليانا.[2] تبعها بناء كنيسة كبيرة في منطقة البركة، ثمّ شيدت كبرى الكنائس في الثلاثينات قبالة الميناء.

ومن الطبيعيّ أن تتعرّض بعض الكنائس المذكورة، كغيرها من المباني القديمة، إلى تهديم أو تغيير، بفعل التقادم وعوامل الطبيعة، والإهمال والتطوّر العمرانيّ الذي شهدته المدينة في العقود الثلاثة الأخيرة. ولم يبق منها اليوم قائمًا سوى الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة اليونانيّة ومعبد يهوديّ واحد تحوّل إلى كنيسة قبطيّة. والأبنية المذكورة مؤرّخة من العصر العثمانيّ. فضلاً عن الكاتدرائيّة التي استحدثها

١- مركز إحياء التراث العلميّ العربيّ - جامعة بغداد.
٢- الديريكو تيجاني، بنغازي في العقد الثاني من القرن العشرين، تعريب محمد رؤوف بن عامر، مطابع الثورة، بنغازي (٢٠٠٣م)، ص٦٢.

أرشيف يونس الشلوي

الطليان والتي مازالت قائمة قبالة الميناء.

لهذه الورقة أهمّيّة بوصفها تؤرّخ لأبنية تراثيّة مغمورة، لم توثّق سابقًا بدراسة أثريّة أو علميّة جادّة رغم كونها جزءًا من الموروث العماريّ للمدينة، لذلك انصبّ هدف البحث على إبراز الجوانب الفنّيّة بقصد التوصل لمعرفة طرازها وريازتها، وقد شملت الدراسة كنائس بنغازي المبنيّة في العصر العثمانيّ، والمتمثّلة بالكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة اليونانيّة. كما أنّ للورقة فائدة تتمثّل في حثّ الباحثين والمهتمّين وتشجيعهم على دراسة هذه المنشآت دراسة تاريخيّة وأثريّة معمّقة، بوصفها جزءًا من التراث العماريّ للمدينة العربيّة، ونسيجها الحضري.

الكنيسة الكاثوليكيّة

عرفت بهذا الاسم لأنّها مخصّصة، منذ نشأتها، للرعايا المسيحيّين الكاثوليك المقيمين في بنغازي وسواها من المدن البرقاويّة، وكذلك لرعاياها الوافدين على



الواجهة الغربيّة للكنيسة الكاثوليكيّة تطلّ على شارع عمر بن الخطاب

المدينة من العرب والأجانب. والبالغ عددهم، في أحسن تقدير خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مئة وخمسون أو مائتا نسمة. وربّما اشتهرت بالكنيسة الكاثوليكيّة تميّزًا لها عن الكنيسة الأخرى (الأرثوذكسيّة) التابعة للجالية اليونانيّة في بنغازي، والتي لا تبعد عنها كثيرًا.

تقع الكنيسة، التي نحن بصدد دراستها، في شارع عمر بن الخطاب، الذي كان يسمّى خلال العصر العثمانيّ بشارع النصارى لوجود الكنيسة فيه، ثمّ أصبح يسمّى في ظلّ الاحتلال الإيطاليّ بشارع تورينو. وهو أحد الشوارع الرئيسة في المدينة القديمة، يتفرّع من شارع عمر المختار ثمّ يتّجه جنوبًا ليتقاطع مع بعض الأزقّة القديمة التي تنتهي بشارع عمرو بن العاص.

تاريخ الكنيسة

قد لا يجد الباحث في تاريخ الكنيسة الكاثوليكيّة صعوبة كبيرة بشأن الوقوف على بدء تأسيسها، لأنّ وثائق البعثة التبشيريّة، التي خلصت إلينا، ملخّصة في الحوليّات البرقاويّة بجهود الأب فرانشيسكو روفيري، تشير بوضوح إلى ذلك. ففي السادس من حزيران العام ١٨١٨م افتتحت أوّل كنيسة في بنغازي، كرّست لأوّل أسقف مسيحيّ كان في قورينا، عند بدء الدعوة المسيحيّة وهو القدّيس لوقيوس (ST. LUCIO)، الذي ذكر في أعمال الرسل في العهد الجديد. وقوامها حُجرة داخل مبنى القنصليّة الفرنسيّة. حيث أقام الأب (باسفيكو دا مونتي) التابع للقنصليّة شعائر أوّل صلاة جماعيّة شارك فيها جميع المسيحيّين المقيمين في المدينة وربابنتها. وبهذه المناسبة عُيّنَ أحد رجال الدين الفرنسيسكان للإقامة بصفة دائمة فيها، بقصد رعاية الشؤون الدينيّة الخاصّة بالمسيحيّين في برقة بأسرها.[٣]

٣- الأب فرانشيسكو روفيري، عرض للوقائع التاريخيّة البرقاويّة، التاريخ الكرونولوجيّ لبرقه (١٥٥١-١٩١١)، تعريب إبراهيم أحمد المهدوي، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس(٢٠٠٣م).
محمد مصطفى بازامه، بنغازي متصرفليك، تاريخ برقة في العهد العثمانيّ الثاني، دار الحوار الثقافيّ العربيّ الأوروبيّ، قبرص (١٩٩٤م)، ج٢، ص٢٣١.

أرشيف بوش الشاوي

وبعد هذا التاريخ، جرت محاولات كثيرة لإقامة كنيسة مستقلّة في بنغازي، لكنّها لم تأت بنتيجة إلا بعد ما يربو على نصف قرن من الزمان. رغم موافقة السلطات العثمانيّة على تخصيص قطعة أرض لهذا الغرض. وكانت الشعائر الدينيّة والقدّاس الإلهيّ تقام بمساكن مؤجّرة من أهالي المدينة لإقامة الآباء الفرنسيسكان، ويخصّص جانبٌ منها كنيسة.

لم تثمر الجهود الكبيرة التي بذلها رجال الدين والقناصل على مدى سنوات طويلة لبناء كنيسة في مدينة بنغازي إلا في العام ١٨٥٢م، وبهذا الخصوص كتب المرحوم محمد مصطفى بازامة يقول: "وكانت فكرة عودة المسيحيّة إلى برقة حيث قورينا وماضيها العتيد تداعب مخيّلة رجال الكنيسة والملوك والناس في أوروبّا وتدفع بهم لتشجيعهم في حماس..." لهذا نجد إمبراطور النمسا يتبرّع من ماله الخاصّ بـ ٤٠٠ ليرة ذهبيّة، وملك الصقلّيتين يسمح في بلاده للرهبان بجمع التبرّعات من الناس للمساهمة في تكاليف البناء، وكذلك التبرّعات تأتي من باريس وليون، وبابا الفاتيكان (بيوس) يتبرّع بالأخشاب، وقد نقلت إلى بنغازي على ظهر سفينة كانت ترفع علم البابويّة وهي قادمة من أنكونيا الإيطاليّة.(٤)

ويبدو أنّ كثرة الأموال التي جمعت لهذا المشروع شجّعت القائمين عليه بتوسيعه، لا سيّما بعد عودة الأب أوفروسينو (EUFROSINO) من جولته الناجحة في فرنسا، حيث ما عادت قطعة الأرض المخصّصة للبناء مناسبة، وأصبح تطلّع رجال الدين في طرابلس لا يقتصر على الكنيسة فحسب، بل تعدّاه إلى إقامة مساكن للرهبان الفرنسيسكان، وبناء مستشفى صغير ألحقت به وحدة إسعاف مجّانيّة. وبعد البحث عن مكان جديد مناسب، اتُفق مع أربعة من المالكين على شراء منازل لهم متجاورة بمبلغ تسعة وعشرين ألف قرش تركيّ، على أن تقبل الأرض السابقة التي كانت معدّة للبناء، وقيمتها اثنا عشر ألف قرش وسدّد لهم باقي المبلغ نقدًا. وقد أبرم الاتّفاق في السادس والعشرين من حزيران العام ١٨٥٤م في مقرّ مجلس اللواء بمدينة بنغازي،

٤ – المرجع ذاته، ج٣، ص١١٦.

[stamp]

وكان الأب أوفروسينو ممثّلا في هذا الاتفاق عن البعثة الإرساليّة الدينيّة بطرابلس.[٥]

ومن المفيد الإشارة إلى أنّ قطعة الأرض القديمة، التي استبدلت لصغر مساحتها، كانت بالأساس مهداة من الحكومة التركيّة إلى الجالية المسيحيّة، البالغ عددها في بنغازي آنذاك مائة وخمسون نسمة. وذلك بموجب فرمان سلطانيّ صادر من الباب العالي بالقسطنطينيّة العام ١٨٤١م. وقد صدر الفرمان نتيجة للمساعي الحميدة التي بذلها القنصل الفرنسيّ آنذاك ويدعى السيّد لودو (LEDOUX).

والحقيقة، نحن اليوم نجهل مكان الأرض التي كانت مخصّصة لبناء الكنيسة بموجب هذا الفرمان، ولعلّها كانت في أطراف المدينة، لأنّ الأب روفيري يبرّر سبب عدم تنفيذ البناء بعد موافقة السلطات الرسميّة مباشرة، ويعزو ذلك إلى نشوب نزاع مسلّح بين الأهالي والبدو الذين يعيشون بجوارها. إلاّ أنّ حملة التبرّعات التي جرت في السنوات اللاحقة، تؤكّد أنّ إدارة بعثة الإرساليّة بطرابلس لم تكن قادرة على تغطية تكاليف المشروع ما أدّى إلى تأجيله .

وبعد شراء الأرض وتوافر الأموال اللازمة للبناء، استدعِيَ من إيطاليا مهندس وصل بنغازي في العام ١٨٥٣م وكانت مهمّته طبعًا إعداد تصاميم للكنيسة الجديدة ومساكن الرهبان الملحقة بها والإشراف على البناء، إلاّ أنّه لم يتسنّ له أن يفعل شيئًا، لعدم صدور الفرمان السلطانيّ من الباب العالي، والذي على ضوئه يُسمح بإنشاء كنيسة مسيحيّة في مدينة بنغازي. ومع هذا باشر المهندس المذكور، بالإشراف على إقامة فصول مدرسة البنين، التابعة للبعثة الإرساليّة الكاثوليكيّة[٦].

ويبدو أنّ أمر البناء قد تأجّل ثلاث سنوات حيث تشير مصادرنا إلى تأخّر وصول الفرمان السلطانيّ حتّى تموز العام ١٨٥٦م. وقد قام حاكم برقة بتسليمه إلى المسؤول الأعلى للآباء الفرنسيسكان في بنغازي.[٧] ولهذا لم يبق أمام القائمين على بناء الكنيسة، إلاّ الإعلان عن وضع حجر الأساس، وقد تمّ ذلك في اليوم الأوّل من

---

٥ – الأب فرنشيسكو روفيري، ص ١٠٧.
محمد مصطفى بازامه، ج٣، ١٢٢.
٦ – الأب فرنشيسكو روفيري، ص١٠٧.
٧ – المرجع ذاته، ص١٠٩.

[stamp]

شهر كانون الثاني العام ١٨٥٧م بحضور لفيف من المسؤولين والأعيان ومختاري المحلاّت في بنغازي، ثمّ حفرت الأساسات وأقيمت على دعائم خشبيّة من شجر السنديان، كانت قد أرسلت من البابا بيوس التاسع، كما ألمحنا.

واللافت أنّ بناء الكنيسة استغرق سنوات طويلة، امتدت من كانون الثاني العام ١٨٥٧م حتّى الثامن من كانون الأوّل السنة ١٨٧٢م، حيث قصّ في هذا اليوم شريط الافتتاح رسميًّا، في ظلّ مراسيم دينيّة مقدّسة احتفل بها رئيس الكرسي الرسوليّ الأعلى الجديد الأب جيرولام دا سان سافينو (P. GEROLAMO DA SAN SAVINO).[٨] وهذا يعني أنّ البناء امتدّ على خمس عشرة سنة، ما يجعلنا نظنّ لأوّل وهلة، بأنّ البناء كان متعثّرًا أو كان يمرّ بعراقيل، ولاسيّما أنّ كنيستنا هذه، بسيطة من حيث التخطيط، ومتواضعة من حيث الريازة إذ لا ثراء للزخارف فيها، ولا إسراف في الزينة التي تتطلّب عادة وقتًا وجهدًا كبيرين. وإذا كان السؤال يدور حول أسباب التأخير؟ فالجواب نجده عند الرحالة الألمانيّ غيرهارد رولفس الذي تزامنت زيارته إلى بنغازي مع فترة البناء، حيث أمّها العام ١٨٦٩م، وذكر أنّ الكنيسة تبنى على طريقة بناء الأديرة بيد الرهبان فقط، ولا يستعان بالعمّال العرب إلا في الأعمال الشاقّة أو البالغة الصعوبة التي يتعذر على الرهبان تنفيذها، وأضاف أنّها تبنى بالحجارة المنحوتة على الطريقة الرومانيّة.[٩] إذًا ليس هناك سببٌ ماديٌّ أو إداريّ أو فنّيّ يدعو إلى تأخير البناء، بل المشكلة تكمن في التقاليد الموروثة عند هؤلاء الآباء الفرنسيسكان، الذين حضروا قبل سنوات قليلة، من دير طرابلس لتأسيس فرع له في بنغازي.

ولا شكّ في أنّ من أسباب التأخير تعدّد المباني الخدميّة داخل هذه المؤسسة التي أصبحت ديرًا يضمّ كنيسة ومساكن للرهبان ومستشفى صغيرًا ملحقًا به وحدة إسعاف وصيدليّة، يدار من قبل الراهبات اليعقوبيّات، فضلاً عن مدرسة للبنين والبنات بلغ عدد طلابها في العام ١٨٦٧م ثلاثة وستين.

٨ – المرجع ذاته، ص١٩٧.
٩ – غيرهارد رولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، تعريب عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخيّة، مطابع المؤسّسة التعليميّة للوسائل التعليميّة، حلب (٢٠٠٢م)، ص١١٣.

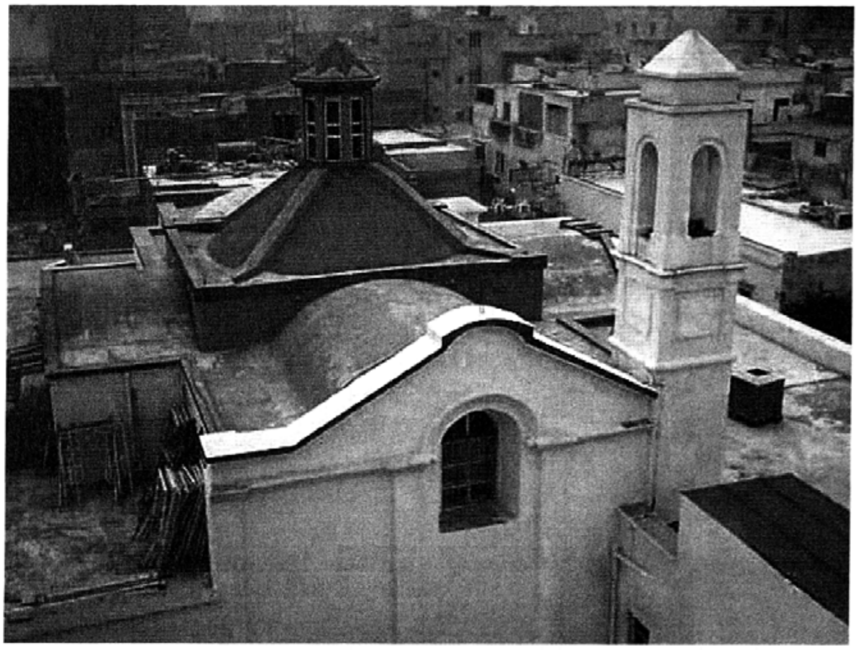
ولمّا كان هذا الدير بحاجة إلى إيرادات تدعم نشاط مؤسّساته التعليميّة والصحّيّة، فقد سعى القائمون عليه إلى إصدار موافقة من الباب العالي العام ١٨٦٣م بإعفاء البعثة الدينيّة الفرنسيسكانيّة من دفع أيّة رسوم أو عوائد جمركيّة في ما تستورده وتصدره من مواد خاصّة بالكنيسة، وما يلحق بها من تحف وأشياء مقدّسة.(١٠) وللسبب عينه صدر فرمان في آذار العام ١٨٧٣م سُمح بموجبه للكنيسة، بشراء قطعة أرض واسعة في منطقة البركة، لاستعمالها حقلاً لزراعة أنواع الفواكه والخضار اللازمة لتموين الرهبان الفرنسيسكان والراهبات اليعقوبيّات. وقد شيّد في داخلها بيتان صغيران للفلاحين وآخر للراهب المشرف، وأُلحق بالأخير معبدٌ أو مصلّى لأداء الشعائر الدينيّة.(١١) وفي فترة لاحقة تمّ توسيعها بشراء قطعة أرض جديدة من أحد المزارعين وسخر لزراعتها الرقيق الذين اشتروا من سوق (قمينس)، بنقود اللجنة الدوليّة لملاحقة تجّار الرقيق، وتمّ عتقهم وتعميدهم في المسيحيّة.(١٢)

وزيادة في مشاريع الاستثمار لصالح الكنيسة، حصل رئيس الكرسي الرسوليّ في بنغازي العام ١٨٩٨م على موافقة الباب العالي لشراء أرض واسعة بالفويهات، لغرض إقامة معهد للصناعات اليدويّة.(١٣)

وبقيت الكنيسة الكاثوليكيّة في بنغازي فرعًا تابعًا إلى البعثة الفرنسيسكانيّة في طرابلس، وتعمل تحت رعاية القنصليّة الفرنسيّة حتّى العام ١٩٠٧م عندما قبلت إيطاليا عرضًا لحمايتها، تقدّم به رئيس البعثة شريطة رفع مساهماتها في الإنفاق إلى ثلاثين ألف ليرة بدل اثني عشر ألف ليرة كانت تسهم فيها فرنسا.(١٤) وهكذا أنهت الخارجيّة الإيطاليّة صراعًا مع الفرنسيّين على قيادة هذه البعثة دام عقودًا طويلة.(١٥)

---

١٠ – الأب فرانشيسكو روفيري، ص١٢٨.
محمد مصطفى بازامه، ج٣، ص١٩٨.
١١ – الأب فرانشيسكو روفيري، ص١٤٩.
١٢ – محمد مصطفى بازامه، ج٣، ص٤١٣.
١٣ – الأب فرانشيسكو روفيري، ص١٦٣.
١٤ – محمد مصطفى بازامة، ج٣، ص٤٤٧.
١٥ – ظلت الكنائس الكاثوليكيّة في بنغازي وطرابلس تؤول إلى الفاتيكان حتّى ١٠ أكتوبر العام ١٩٧٠م، حيث وقع في هذا اليوم الأسقف (سانتي بورتا لويس) بصفته مبعوث البابا بولس السادس والمفوض بأجراء مباحثات مع الخارجيّة الليبيّة بشأن ممتلكات دولة الفاتيكان وقد وافقت الأخيرة على التنازل عن جميع ممتلكاتها في الأراضي الليبيّة. الهيئة العامة للأوقاف / ملف الكنائس ٤/١١، محضر التسليم والاستلام.

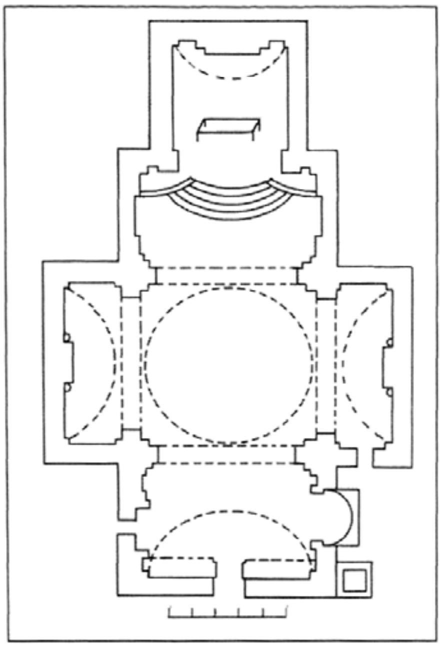


الكنيسة الكاثوليكيّة من الخارج

طراز الكنيسة

بادئ ذي بدء، يجب أن نقرّ بأنّ هذه الكنيسة مصمّمة وفق الطراز الرومانسكيّ الذي نشأ وتطوّر في فرنسا ثمّ في إيطاليا وإنجلترا، وذلك في نهاية القرن العاشر الميلاديّ، وساد حتّى القرن الثاني عشر الميلاديّ، واسمه يدلّ بوضوح على انه متأثّر بالعناصر الرومانيّة القديمة كالعقود والأعمدة والأكتاف والقبوات التي تنجم عنها فراغات كبيرة. وبعد اندثار هذا الطراز تمّ إحياؤه وغيره من الطرز القديمة في منتصف القرن الثامن عشر، في محاولة لإيجاد مدارس جديدة في أوروبّا رعت الفنون القديمة وتزاوجت معها، بهدف التوصّل إلى فنّ جديد. لذلك عرف القرن التاسع عشر بأنّه قرن التقليد لجميع الطرز والتكوينات العماريّة التي يمكن الحصول عليها بسهولة والتي طوّرها الإنسان عبر آلاف السنين[١٦].

١٦ – توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة، المطبعة الفنيّة الحديثة، مصر(١٩٧٠)، ج٤، ص٣٣.



مخطّط الكنيسة الكاثوليكيّة في بنغازي/ رسم الباحث

أرشيف يونس الشلوي

تتمثّل أهمّ مميّزات هذه الكنيسة في مسقطها الصليبيّ الذي يتمحور حول فراغ مركزيّ مربّع الشكل، مغطّى بقبّة تلقي بظلالها على المذبح، ومن حولها أربع دخلات مسقفة بأقبية ذات ارتفاعات متساوية، في محاولة لخلق وحدات مترابطة، لها وظائف أساسيّة تتناغم مع المكان، وتعكس قدسيّته عبر الفخامة والزخارف الكثيرة والألوان.



حنيّة الكنيسة الكاثوليكيّة

حافظ معمار هذه الكنيسة على التقاليد الموروثة في العمارة الرومانسكيّة عبر الوحدة في استعمال الأكتاف المندمجة التي تستمرّ حتّى منابت العقود، وزيّنها بأجمل الزخارف كما زيّن الجدران بأنصاف أعمدة ذات تيجان تعكس دلالات معيّنة في هذا الطراز. وكذلك استعمال الأقبية في التسقيف وتفاوت ارتفاعاتها في الحنيّة الشرقيّة يشعر المرء في الانتقال والتدرج ضمن وحدة الفراغ. مع التأكيد على الإضاءة عبر النوافذ المرتفعة والقماري بقصد توظيف السطوح الداخليّة للجدران، في تشكيل حنايا جانبيّة لعرض اللوحات والأيقونات.

وبقصد التنسيق الكامل والتشكيل الجيّد في توزيع الكتل البنائيّة أُقيم برج مرتفع يكون جزءًا من الواجهة الغربيّة، ويرسم مع القبّة المركزيّة وبإزائها الأقبية، حركة تعكس مفهوم الجمال عبر النسب والأبعاد المثاليّة، وتنمّ في الوقت عينه عن مهارة المصمّم وإحساسه المرهف وذوقه الرفيع.



الكنيسة الكاثوليكيّة / الأكتاف التي ترفع السقف وزخارفها

[stamp]

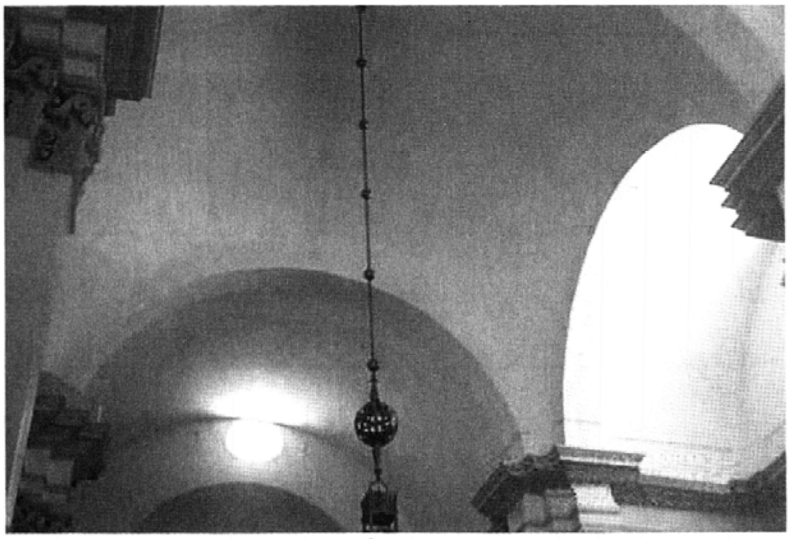
الوصف المعماريّ للكنيسة

يبلغ طول الكنيسة من الداخل نحو ٢٥.٣٠م وعرضها في أوسع النقاط ١٤.٧٠م، يؤدّي إليها مدخل رئيس عرضه ١.٥م يقع في منتصف الضلع الغربيّ، وقوام هذا المدخل فتحة مستطيلة يعلوها عقد نصف دائريّ، مشغول بباب خشبيّ يتكوّن من مصراعين، وفي أعلى هذه الواجهة نافذة كبيرة لإنارة الجزء الخلفيّ من الكنيسة.

يلي الباب الرئيس باب آخر وبين البابين كنّة صغيرة من الخشب وجدت لترفع فوقها شرفة عرضها لا يزيد عن متر ونصف، تمتدّ على طول الجدار الخلفيّ للكنيسة، وهي مثل السدة معلّقة على جوائز من الخشب ولها درابزين بسيط يحمي من السقوط.

وعلى يمين الداخل حنيّة غائرة مسقفة بنصف قبّة يربو عرضها على ٢.٦٥م يتقدّمها عقد نصف دائريّ يقوم على كتفين، وقد سدّت الحنيّة بحاجز من الحديد ذي زخارف هندسيّة مكرّرة. وقبالة الحنيّة باب متوّج بعقد نصف دائريّ يؤدّي إلى حجرة حديثة البناء مستخدمة في الوقت الحاضر مخزنًا لحفظ اللوازم والأشياء المهمّة.

يعلو المربع الأوسط الذي يبلغ طول ضلعه ثمانية أمتار قبّة مركزيّة ذات مقطع نصف كرويّ، وقد شغلت الزوايا الأربع للقاعدة أكتاف فخمة مندمجة مع الجدران، تحمل فوقها عقودًا نصف دائريّة لتساعد على رفع الثقل المسلّط من القبّة.



الكنيسة الكاثوليكيّة / القبة التي تغطّي المربّع الأوسط من الداخل

أرشيف الشرق

حوّل المهندس الجزء العلويّ للقاعدة إلى دائرة بوساطة أربعة مثلثات ركنيّة كبيرة، وذلك تمهيدًا لإقامة القبّة، التي جلست حافتها السفلى على القاعدة الدائريّة من غير رقبة. ورغم صغر القبّة ومتانة الجدران وقدرة العقود وفخامة الأكتاف إلاّ أنّ المعمار عزّز القبّة من الخارج بأربعة ضلوع بارزة، تلتقي بكتلة مثمّنة من البناء مصمّمة على شكل منور ينتهي بمخروط. وجدت من أجل الزينة فقط لعدم نفاذها إلى الداخل.

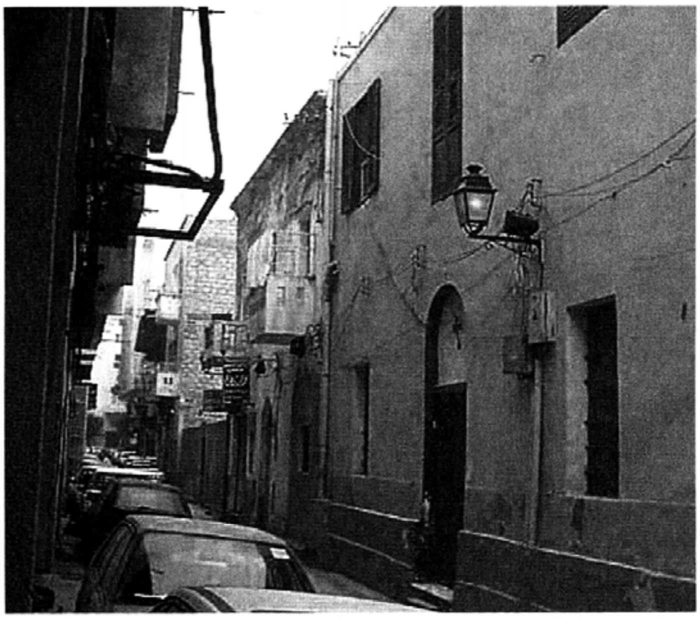
ومن الطبيعيّ أن يواجه الداخل إلى الكنيسة الحنيّة الرئيسة (Apse) التي تضمّ المذبح (Altar) وهي تتصدّر البناء من الجهة الشرقيّة، على شكل دخلة كبيرة مسقّفة بقبو مرتفع يعلو الأقبية المجاورة، وذلك لارتفاع أرضيّة الحنيّة ما سمح بفتح نافذة دائريّة (قمرة) بين تفاوت مستوى السقفين، لتساعد على إنارة هذا الجزء المهمّ من الكنيسة. ولا شكّ في أنّ حنيّة المذبح تمثّل أهمّ أقسام البناء في الكنيسة، لما تحتويه من عناصر أساسيّة، لها علاقة بطبيعة العبادة وتقديم القدّاس الإلهيّ. حيث يوضع في الحنيّة الرئيسة عادة كرسيّ الأسقف، وأمامه أو على جانبيه مدرج رخاميّ لبقيّة رجال الدين.

لقد علت الدخلات الأربع حول القبّة أقبية نصف دائريّة بسيطة ذات ارتفاع واحد، لتتناغم مع القبّة المركزيّة، ومع تصميم الأكتاف التي تضفي ببروزها وزخارف تيجانها نوعًا من الحركة، الهدف منها تقليل الملل في الجدران الصمّاء. وقوام زخارفها عناصر نباتيّة محفورة على الجص حفرًا غائرًا، تمثّلت في أشجار السرو منفّذة على الطريقة الأوروبيّة. وقد راعى الفنان تكرار الزخرفة في موضوع واحد، كي تتناظر التيجان ضمن تكوين يعكس سمات العمارة في الطراز الرومانسكيّ، وأكد ذلك بإضافة كورنيشات مركّبة شديدة البروز توّجت جدران الكنيسة من الداخل، وتدرّجت بمستوى منابت العقود والأقبية فظلّلت الزخرفة، وأضفت عليها مسحة من الجمال يستطيع الزائر أن يتحسّسه بسهولة ويسر، وذلك من عنفوان حركة العناصر النباتيّة وتكرارها وتناظرها وتباين ظلالها.

زيّنت جدران الكنيسة أيقونات ولوحات زيتيّة عديدة إحداها صورة السيّدة

مريم بثوبها الأبيض الفضفاض، وحول رأسها هالة من نور، وهي أكبر اللوحات حجمًا وقد احتلّت صدر المذبح الرئيس، وجعلت داخل تكوين كإطار يكتنفه من الجانبين عمودان يعلو كلٌ منهما تاج يحملان مثلّثًا.

الكنيسة اليونانيّة



واجهة الكنيسة اليونانيّة

تذكر مصادرنا أنّ الجالية اليونانيّة الأرثوذكسيّة في مدينة بنغازي، كانت في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، تمارس شعائرها الدينيّة في قاعة كبيرة كائنة في شارع درنة. وبعد حصول الجالية على فرمان صادر من الباب العالي في القسطنطينيّة العام ١٩٠٧م شيّدت على الفور الكنيسة تحت إشراف مطران كان يرعى الشعائر الدينيّة فيها اسمه بارثينيوس بوفازاكيس (PARTHENIOS BOVAZAKIS).[١٧] وكانت الحكومة اليونانيّة قد خصّصت الأموال اللازمة للبناء وتولّت الصرف عليها.[١٨] ولعلّ تاريخ

١٧ – الأب فرانشيسكو روفيري، ص١٦٩.
١٨ – محمد مصطفى بازامة، ج٣، ص٤٥٢.

التأسيس الذي تذكره المصادر يمثل بدء العمل فيها إذ نجده مكتوبًا باللغة اليونانيّة على لوح تذكاريّ من الرخام، مثبّت بجانب المدخل الرئيس للكنيسة، وفيه أنّ هذا المعبد الإنجيليّ المقدّس في بنغازي مبنيّ خلال السنوات ١٩٠٧ –١٩١٢م. كما يوجد لوح آخر يؤرّخ للصيانة والتجديد التي شهدتها الكنيسة في العام ١٩٦٦م برعاية الشركة القبرصيّة (J&P) وتبرّعات الجالية اليونانيّة.

الوصف المعماريّ

تقع الكنيسة اليونانيّة خلف مبنى البريد الرئيس لمدينة بنغازي، في شارع ضيّق قديم، يعرف بشارع درنه. وللكنيسة واجهة بسيطة لا تختلف عن واجهات البيوت المجاورة لها، إذ يتوسّطها مدخل متوّج بعقد نصف دائريّ، تكتنفه نوافذ وجدت لإضاءة بعض الحجرات. والمدخل يؤدّي إلى مجاز على كلّ من جانبيه حجرة، وهناك درج يقود إلى الطابق العلويّ الذي ضمّ غرفتين لإقامة رعاة الكنيسة وخدامها، الذين هم عادة من الجالية اليونانيّة.

ومن الملاحظ أنّ كتلة المجاز والحجرات مفصولة عن بناء الكنيسة بصحن على شكل ممرّ مكشوف. أمّا الكنيسة فقوامها قاعة مستطيلة تكسوها من الخارج بلاطات حجريّة منحوتة، تتوسّطها قبّة نصف كرويّة تستند إلى عقود قائمة على أكتاف مندمجة، لها تيجان مربّعة مزيّنة ببعض الزخارف، وللانتقال من الشكل المربّع إلى الدائريّ استخدم المعمار في أعلى القاعدة مثلّثات ركنيّة سهّلت قيام رقبة دائريّة استغلّت لفتح ثمان نوافذ متوّجة بعقود نصف دائريّة، ما ساعد على ضمان إضاءة كافية، ولاسيّما أنّ مبنى الكنيسة مزوّد بعدد من النوافذ والأبواب الحديديّة المشغولة بالزخارف. أمّا القبّة فهي أصليّة إذ ما زالت محافظة على شكلها ورونقها رغم الصيانة التي شهدتها الكنيسة في العقود الماضية.

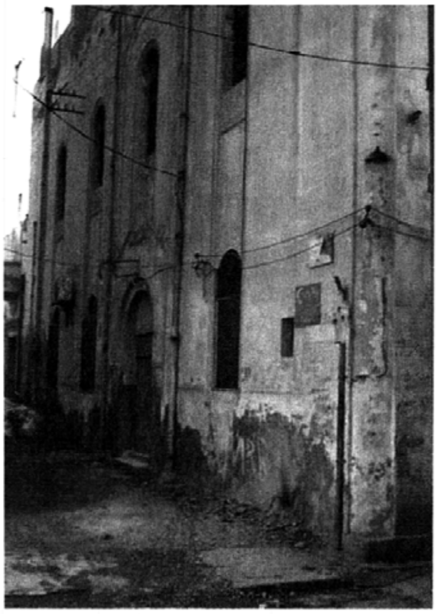
وطبيعي أن يكون للكنيسة حنيّة، تضمّ العديد من الأيقونات ولوحات زيتيّة تمثّل بعض القدّيسين مثبّتة على مقصورة خشبيّة.


قبّة الكنيسة اليونانيّة من الداخل


الحنيّة في الكنيسة اليونانيّة

الكنيسة القبطيّة

سعى الأقباط إلى إقامة كنيسة لهم في طرابلس وبنغازي، بعد موافقة الحكومة الليبيّة على طلبهم العام ١٩٧١م. وعلى أثر الموافقة المذكورة صدر القرار البابويّ في ١٩٧١.١٢.١٢م بضمّ الكنيستين إلى مجمع رعاية الكنائس القبطيّة في مصر، ليكونا جميعًا تحت رعاية إيبارشيّة واحدة وأسقف واحد. لكنّ الأقباط في بنغازي فشلوا في بناء كنيستهم الجديدة، وظلّوا يمارسون شعائرهم الدينيّة في الكنيسة اليونانيّة، حتّى طلبوا استغلال المعبد اليهوديّ القديم الذي يقع في شارع مختار الصابري وتحويله إلى كنيسة قبطيّة العام ١٩٨٨م.[١٩]


واجهة الكنيسة القبطيّة

١٩ – تحتفظ الهيئة العامة للأوقاف في بنغازي بملف يخصّ الكنائس المشيّدة داخل مدينة بنغازي بوصفها الدائرة المسؤولة عن إدارة المؤسّسات الدينيّة، ويضمّ هذا الملف بعض الطلبات المقدّمة من الأقباط المقيمين في بنغازي مؤرّخة في العام ١٩٧٣م يطلبون فيها تخصيص مكان لإقامة الشعائر الدينيّة، وكانوا يمارسونها في الكنيسة اليونانيّة. أرشيف الهيئة العامة للأوقاف/ بنغازي ، ملف الكنائس ١١/٤.

وتحويل المعبد إلى كنيسة تطلب تحويرات كبيرة في المبنى، كي يتماشى مع الاستخدام الجديد، أو يتّفق مع واقع تخطيط الكنيسة المصريّة التي تعتمد أساسًا نظام البازيليكا، ويعدّ الهيكل الخشبيّ من أهمّ الإضافات المستحدثة وقد احتلّ الجهة الشرقيّة، وهو مرتفع على شكل مسطبة وفي وسطه حنيّة مفصولة عن الجدار الشرقيّ بممرّ، ومن عناصر الكنيسة المدرج وأمامه مذبح وإلى جانبه الأمبون (المنبر). كما استحدث في المبنى عدد من الحجرات استخدمت مكاتب وحمامات ومنافع حديثة، وطابق علويّ معظمه مخصّص لإقامة رعاة الكنيسة والعاملين.

وبشأن معابد اليهود، فقد أحصى الرحالة الألمانيّ غيرهارد رولفس (١٩٦٩م) دور العبادة في مدينة بنغازي، ومن بينها كنيسان للطائفة اليهوديّة[٢٠]. أشهرها كان قائمًا في شارع المهدوي أو شارع مختار الصابري، والذي تحوّل إلى كنيسة قبطيّة كما أسلفنا. وقد شيّده أحد سكّان المدينة المدعو "راحمين فرجون" نحو ١٨٥٠م[٢١]. والثاني كان قائمًا في شارع سيدي سعيد الذي يقع ضمن محلّة سيدي بالخير، وقد تأسّس السنة ١٩٠٧م وجرى إتمامه العام ١٩١٢م[٢٢]. لكنّه أزيل مع الكثير من الأبنية القديمة إثر شمول المنطقة بالتحديث العمرانيّ الذي بدأ في مطلع ثمانينات القرن الماضي. وفي عهد الاحتلال الإيطاليّ ارتفع عدد معابد اليهود في بنغازي، في العقد الثاني من القرن العشرين حتّى وصل إلى أربعة.[٢٣]

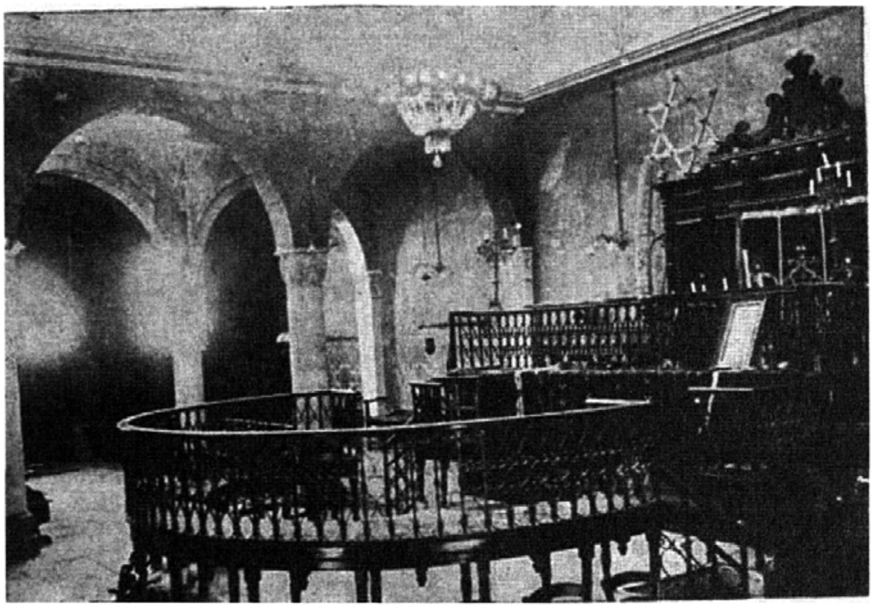
---

٢٠ – غيرهارد رولفس، المصدر السابق، ص١١٣.

٢١ – ر.ج. جود تشايلد، قورينا و ابولونيا دليل تاريخيّ ووصف عامّ لآثار المدينتين، تعريب الإدارة العامة للآثار، طرابلس (١٣٩٠هـ/١٩٧٠)، ص٣٦.

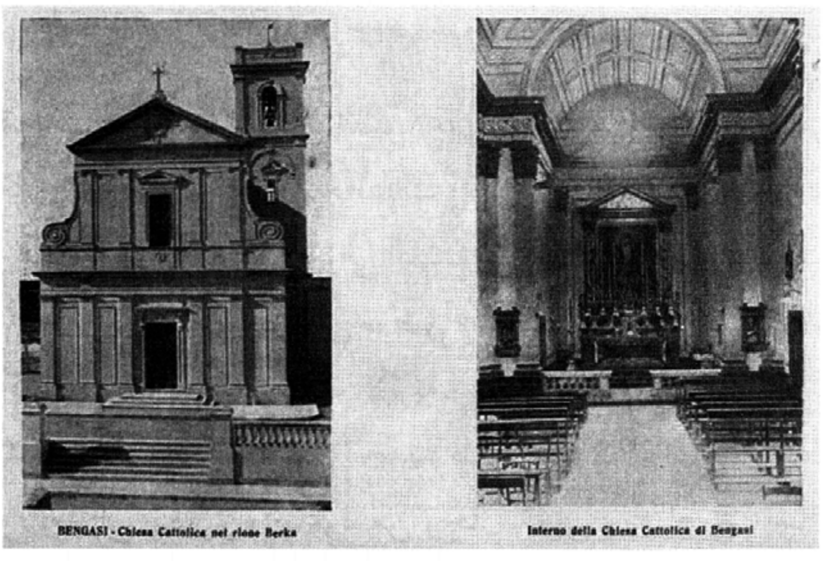
٢٢– هنريكو دي أغسطيني، سكّان ليبيا، تعريب خليفة محمد التليسيي، الدار العربية للكتاب، ليبيا(١٩٩٠م)، ج٢، ص٣١٣.

٢٣ – الديريكو تيجاني، المصدر السابق، ص٦٢



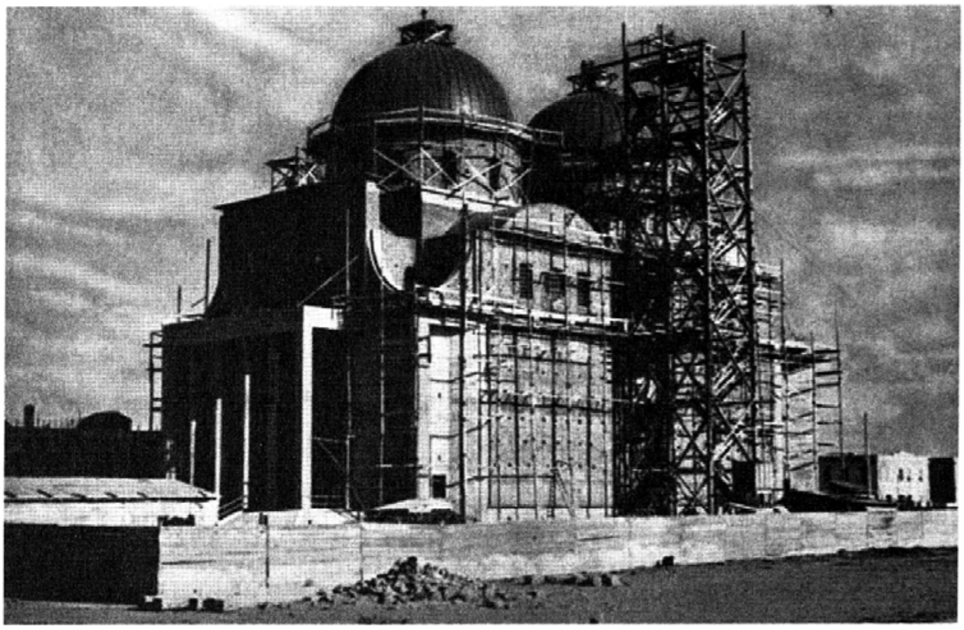
كنيس قديم لليهود من الداخل العام ١٩٢٨م (مزال)

ومن المفيد الإشارة إلى الكنائس التي شيّدت في ظل الاحتلال الإيطاليّ وأهمّها الكنيسة التي كانت قائمة في منطقة البركة، والمبنيّة على الطراز الإيطاليّ القديم. لها واجهة جميلة منحوتة بالحجر ومزوّدة ببرج مربّع، ومن الداخل تبدو مسقّفة بأقبية ذات مستويات مختلفة مزيّنة بزخارف، ولها مدخل واحد يقع قبالة المذبح وعلى محوره.



كنيسة في البركة العام ١٩٢٨م (مزالة)

وشهدت بنغازي في ثلاثينات القرن الماضي، أيّ في عهد الاحتلال الإيطاليّ، بناء كبرى الكنائس المسيحيّة وشغلت موقعًا متميّزًا قبالة الميناء. وهي كاتدرائيّة كبيرة أريد لها أن تكون من أرقى مباني المدينة آنذاك. لذلك رُفعت عليها قبّتان تكسوهما من الخارج صفائح من النحاس. وهي مازالت قائمة حيث تجرى لها صيانة اليوم لإعادتها إلى حالتها الأولى.



الكاتدرائيّة الإيطاليّة أثناء التشييد العام ١٩٣٢م

الخلاصة

صفحات هذا البحث تلقي الضوء على كنائس مؤرّخة من العصر العثمانيّ، في مدينة بنغازي، بقصد توثيقها بمخطّطات وصور خوفًا عليها من عواصف التغيير والإزالة التي هبّت على الأبنية التراثيّة، في المدن العربيّة، فطمستها وغيّرت من معالمها كلاً أو جزءًا. وحُدّدَ تاريخ بناء الكنائس موضوع البحث عبر الشواهد الكتابيّة والوثائق التاريخيّة لتأكيد أهمّيّتها في الدراسات الأثريّة.

لقد توصلت الدراسة إلى تحديد طراز هذه الكنائس المخطّطة بأيدي مهندسين، وفدوا إلى بنغازي، بدعوة من رجال الدين والقناصل أو المؤسّسات

المموّلة للبناء. فالكنيسة الكاثوليكيّة مصمّمة وفق الطراز الرومانسكيّ القديم، الذي نشأ وتطوّر في فرنسا ثمّ في إيطاليا وإنجلترا، وقد تمّ إحياؤه وغيره من الطرز القديمة في منتصف القرن الثامن عشر.

كما سعت الدراسة، إلى وصف الكنيستين الكاثوليكيّة واليونانيّة بشيء من الإسهاب للوقوف على شكل عمارتها، وأهمّ عناصر البناء الرئيسة، من عقود وأقبية وقباب وحنايا وأبراج. مع التأكيد على زخارفها الدخيلة على العمارة العربيّة الإسلاميّة، بوصفها مصمّمة ومنفّذة بأيدي أجانب وفدوا من خارج البلاد.

ولم يتعرّض البحث إلى الكنائس المبنيّة في بنغازي، خلال عهد الاحتلال الإيطاليّ، (١٩١١ - ١٩٤٢م) إلاّ لمامًا، أو بإشارات مقتضبة لأنّها خارج الفترة المحدّدة. كما أنّها بحاجة إلى بحث مطوّل يسهب في بنائها وهندستها، بوصفها صروحًا كبيرة ضمّت الكثير من الريازة، التي تمثّل المدارس الحديثة في العمارة الأوروبيّة بشكل عامّ، والإيطاليّة بشكل خاصّ، ومن أهمّها طبعًا الكاتدرائيّة التي مازالت ماثلة أمام الميناء.